(السنة الثالثة عشرة)

العدد الرابع — أكتوبر — ديسمبر ١٩٤٧

صحيفة دار العلوم

(١٩٣٤)

تصدرها جماعة دار العلوم

كل ثلاثة أشهر

المدير: محمد نجيب هناته

رئيس التحرير: محمد على مصطفى

المراسلات الخاصة بالتحرير ترسل باسم رئيس التحرير
بنادى دار العلوم ٧٧ شارع الملكة نازلى

الاشتراكات والحوالات المالية

ترسل باسم أمين الصندوق

السباعى بيومى

وكيل كلية دار العلوم

مكتب بريد الدواوين

الاشتراك السنوى

فى القطر المصرى ——— ٢٠ قرشاً

خارج القطر ——— ٣٠ قرشاً

ثمن العدد ——— ٥ قروش

مطبعة العلوم بشارع الخليج

"إن باحثاً مدققاً لو أراد أن يعرف أين تموت
اللغة العربية وأين تحيا لوجدها تموت في كل مكان
وتحيا في دار العلوم"

الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده

النقـــد فى الأدب العربى

٣ — فى العصر الأموى

١ — ب —

للأستاذ السباعى بيومى
وكيل كلية دار العلوم

على ماقدمنا فى العدد السابق ، سار النقد الأدبى على النهج الذى نهجه عبد الملك بن مروان فى مجالسه ، فشاع الحوار الأدبى بين الناس ، ووجدت ملكة النقد فى نفوسهم ، وانتشرت مجامع الأدب من دور الخلفاء إلى دور الولاة وإلى المساجد والأسواق ، وبخاصة مربد البصرة الذى حل فى الاسلام محل عكاظ فى الجاهلية وزاد ، فكانت تتألف فيه حلقات المناشدة والمناقدة ، وتعقد به مجالس الأدب والرواية ، حيث يقصده الشعراء من كل فج ومع كل شاعر راويته وأنصاره ، فيشتد التنافس بين هؤلاء وهؤلاء ، وحسبك ما كان بين الفرزدق وجرير والأخطل ومن دب الخلاف بينهم بسببهما من الشعراء والأدباء ، وهذا بعض ما كان فى تلك النواحى من نقد : —

١ — روى الجاحظ أن فتى انبرى للأخطل يقول له ،
أردت أن تمدح سماكا الأسدى فهجوته فقلت :

نعم المجير سماك من بنى أسد ... بالطف إذ قتلت جيرانها مضر
قد كنت أحسبه قينا وأنبئوه ... فاليوم طير عن أثوابه الشرر

فما أبعدت صفة القين عنه ،
وأردت أن تهجو سويد بن ميمون فمدحته فقلت

وماجذع سوء خرب السوس جوفه لما حملته وائل بمطيق

فأعطيته الرياسة على وائل وقدره دون ذلك

وأردت أن تهجو حاتم بن النعمان الباهلى وأن تصغر من شأنه وتضع منه فقلت :

وسود حاتما أن ليس فيها اذا ما أوقد النيران نار

فأعطيته السؤدد فى الجزيرة وأهلها ومنعته مالا يضره .

٢ — واجتمع جرير والفرزدق عند الحجاج فقال من مدحنى منكما بشعر يوجز فيه ويحسن صفتى فهذه الخلعة له .

فقال الفرزدق :

فمن يأمن الحجاج والطير تتقى عقوبته الا ضعيف العزائم

وقال جرير :

فمن يأمن الحجاج أما عقابه فمر وأما عقده فوثيق

فقال الحجاج للفرزدق ما عملت شيئا إن الطير تنفر من الصبى والخشبة ودفع بالخلعة إلى جرير

٣ — وشفع عطية بن جعال لبنى غدانة عند جرير فقبل شفاعته وقال :

أبنى غدانة إننى حررتكم فوهبتكم لعطية بن جعال

لولا عطية لاجتدعت أنوفكم مابين ألأم آنف وسبال

فقال عطية ما أسرع مارجع أخى فى عطيته :

ومثل ذلك قول يزيد بن مالك العامرى حيث رجع فى بيته الثانى عما ذكره فى الأول وهو يقول .

أكف الجهل عن حلماء قومى وأعرض عن كلام الجاهلينا

إذا رجل تعرض مستخفا لنا بالجهل أو شك أن يحينا

وكذلك بيت عبدالرحمن بن عبيد الله الذى نقض بعجزه ماقرر من مساواة فى صدره وهو :

أرى هجرها والقتل مثلين فاقصروا ملامكم فالقتل أعفى وأيسر

٤ — وروى أن عمر بن أبى ربيعة والأحوص بن محمد ونصيبا ، مروا

بكثير عزة ، فأقبل على عمر فقال يا أخا قريش والله لقد قلت فأصبت فى كثير من شعرك ولكن خبرنى عن قولك .

قالت لها أختها تداعبها لتفسدن الطواف فى عمر
قومى تصدى له ليعرفنا ثم اغمزيه يا أخت فى خفر
قالت لها قد غمزته فأبى ثم اسبطرت تشتد فى أثرى

والله لو قلت هذا فى هرة أهلك ماعدا ، أردت أن تنسب بها فنسبت بنفسك أهكذا يقال للمرأة ، إنما توصف بالخفر وأنها مطلوبة ممتنعة ، هلا قلت كما قال هذا وضرب بيده على كتف الأحوص

أدور ولولا أن أرى أم جعفر بأبياتكم مادرت حيث أدور
وما كنت زوارا ولكن ذاالهوى إذا لم يزر لابد أن سيزور
لقد منعت معروفها أم جعفر وإنى إلى معروفها لفقير

فامتلأ الأحوص سرورا ، فأقبل عليه فقال يا أحوص خبرنى عن قولك

فان تصلى أصلك وإن تعودى لهجر بعد وصلك لا أبالى

أما والله لو كنت من فحول الشعراء لباليت، هلا قلت مثل ما قال هذا وضرب بيده على جنب نصيب :

بزينب ألمم قبل أن يرحل الركب وقل إن تملينا فما ملك القلب

فانتفخ نصيب فأقبل عليه فقال له ولكن خبرنى عن قولك يا أسود :

أهيم بدعد ما حييت وإن أمت فواحزنا من ذا يهيم بها بعدى

كأنك اغتممت ألا يفعل بها بعدك — ولا يكنى — فقال بعضهم لبعض قوموا فقد استوت الفرقة ، والفرقة لعبة على خطوط فى التراب واستواؤها انقضاؤها ،

٥ — وحكى الزبيريون أن مدنية عرضت لكثير فقالت له: أأنت القائل

فما روضة بالحزن طيبة الثرى يمج الندى جثجاثها وعرارها
بمنخرق من بطن واد كأنما تلاقت به عطارة وتجارها
بأطيب من أردان عزة موهنا وقد أوقدت بالمندل الرطب نارها

قال نعم فقالت فض الله فاك أرأيت لو أن زنجية بخرت أردانها بالمنـــدل الرطب أما كانت تطيب ، ألا قلت كما قال امرؤ القيس :

ألم ترأنى كلما جئت طارقا وجدت بها طيبا وإن لم تطيب

٦ — ومما هو أقبح من قول كثير هذا قوله هو فى عزة أيضا .

ألا ليتنا ياعز من غير ريبة بعيران نرعى فى حلال ونعزب
كلانا به عر فمن يرنا يقـــل على حسنها جرباء تعدى وأجرب
نكون لذى مال كثير مغفل فلا هو يرعانا ولا نحن نطلب
إذا ما وردنا منهلا هاج أهله إلينا فلا ننفك نرمى ونضرب

فيروى أن عزة قالت له حين سمعت هذا ، لقد أردت بى الشقاء الطويل .

٧ — والغفلة كثيرة فى شعر كثير ، فمن ذلك قوله لعبد العزيز بن مروان

وما زالت رقاك تســـل ضغنى وتخرج من مـــكامنها ضبابى
ويرقينى لك الراقون حـــتى أجابت حيـــة تحت التراب

فجعله يتودد إليه ،وكذلك قوله :

وإن أمير المؤمنين برفقـــه غزا كامنات الود منى فنالها

ومثله قول الأخطل :

وقد جعل الله الخلافة فيهم لأبلج لاعارى الخوان ولا جدب

وأقبح من قول الأخطل هذا قول الأعشى فى اليحموم فرس الملك .

ويأمر لليحموم كل عشيـة بقت وتعليق فقد كاد يسنق

٨ — ومما هو أشنع من قول كثير فى عزة قول رجل فى جارية غنته فأثرت فى قلبه فقال وكانت تدعى سلامة .

سلام ليت لسانا تنطقين به قبل الذى نالنى من حده قطعا

وكذلك قول الآخر :

من حبها أتمنى أن يلاقينى من نحو بلدتها ناع فينعاها
لكى يكون فراق لا لقاء له وتضمر النفس يأسا ثم تسلاها

ومن هذا الباب قول عبد بنى الحسحاس فى الأبل مفرقات الاحباب .

وراهن ربى مثل ما قد ورينى وأحمى على أكبادهن المكاويا

وكذلك قول الشماخ فى ناقته .

إذا بلغتنى وحملت رحلى عرابة فاشرقى بدم الوتين

وكل ذلك من سوء الجزاء الذى لم يقبله رسول الله ﷺ من المرأة التى نذرت نحر ناقته إذا بلغتها إياه فقد قال لها لبئس ما تجزينها .

٩ ـ وأنشد الكميت نصيبا :

كأن الغطامط فى غليها أراجيز أسلم تهجو غفارا

فقال نصيب لم تهج أسلم غفارا قط فاستحيا الكميت وسكت .

١٠ ـ وقال ابن أبى وفرة ، قلت لذى الرمة ماعلمت أحداً من الناس أظلع الرءوس غيرك فى قولك .

إذا انجابت الظلماء أضحت رءوسها عليهن من جهد الكرى وهى ظلع

١١ ـ وسمع سلم قول رؤبة فى صفة قوائم الفرس «يهوين شتى ويقعن معا» فقال له أخطأت جعلته مقيدا فقال رؤبة « أدنى من ذنب البعير » يريد أن يقول، لست أبصر الخيل وإنما أنا بصير بالابل .

ولقد كان من شأن هذا الروح الأدبى الذى عمل عبد الملك على نشره فى النقد ،فتعدى مجلسه إلى تلك المجالس الأخرى التى سمعت عنها ما سمعت ، أن يتعدى أيضا الشعر الاسلامى إلى الجاهلى ، لما كان من بعث العصبيات التى ربطت بينهما فأحيت هذا بذاك . وهذى بعض أمثلة لما وجه من رجال هذا العصر الأموى إلى الجاهليين أنفسهم حتى الفحول منهم .

١ ـ أخذوا على امرىء القيس قوله فى مخاطبة الربوع .

ألم تسأل الربع القديم بعسعسا كأنى أنادى إذ أكلم أخرسا

لأنه شبه فيه حجرا بحجر ، وقالوا إن الصحيح فى هذا قول كثير فى امرأة .

كأنى أنادى صخرة حين أعرضت من الصم لو تمشى بها العصم زلت

٢ ـ وأخذوا عليه أيضا قوله فى بغضة النساء للشيب كما يبغضن قلة المال

أراهن لايحببن من قل ماله ولا من رأين الشيب فيه وقوسا

فإن البغضة منهن واقعة على الشيب ولو لم يصحبه تقويس ، وقالوا إن الصواب هو قول علقمة .

إذا شاب رأس المرء أو قل ماله فليس له فى ودهن نصيب

٣ - وأخذوا على النابغة قوله فى الحديث عن الناقة .

تحيد عن أستن سود أسافله مشى الإماء الغوادى تحمل الحزما

لأن حمل الأماء للحزم يكون منهن فى الرواح لا فى الغدو .

٤ - وأخذوا عليه أيضا قوله فى عيينة بن حصن .

ألكنى ياعيين إليك قولا ستحمله الرواة إليك عنى

لأنه لامعنى للشطر الثانى بعد الشطر الأول

٥ - وأخذوا على زهير قوله يصف الضفادع

يخرجن من شربات ماؤها ضحل على الجذوع يخفن الغم والغرقا

لأن الضفدع لايخرج من الماء خوف الغرق .

٦ - وأخذوا على الأعشى قوله

ومارابها من ريبة غير أنها رأت لمتى شابت وشابت لداتيا

وقـــوله

وأنكرتنى وما كان الذى نكرت من الحوادث الا الشيب والصلعا

وقـــوله

صدت هريرة عنا ما تكلمنا جهلا بأم خليد حبل من تصل

أأن رأت رجلا أعشى أضر به ريب الزمان ودهر خاتل خبل

فإن لاريب فى بغض النساء هذه الصفات وإذن لاوجه لعجبه .

٧ - وأخذوا على المرقش قوله فى الصحو .

صحا قلبه عنها على أن ذكرة إذا خطرت دارت به الأرض قائما

لان عجز البيت سلب ماقرره صدره ، وقالوا إن الجيد فى الصحو والسلو قول أوس بن حجر ،

صحا قلبه من سكرة وتأملا وكان بذكرى أم عمرو موكلا

إلى غير ذلك مما نقد فيه الاسلاميون الأدب الجاهلى مع الاسلامى .

هذا طرف من فضل عبد الملك المباشر وغير المباشر على نقد الأدب جاهليه وإسلاميه، وقد سار أبناؤه من بعده فى ذلك سيرته .

١ ـ كان الوليد يدع الشعراء فى مجلسه يستمع بعضهم لبعض وينقد بعضهم بعضا، قال الهيثم بن عدى، دخل رجل من أصحاب الوليد بن عبد الملك عليه فقال ياأمير المؤمنين لقد رأيت ببابك جماعة من الشعراء لاأحسبهم اجتمعوا بباب أحد من الخلفاء فلو أذنت لهم حتى ينشدوك ، فاذن لهم وكان فيهم الفرزدق وجرير والاخطل والاشهب بن رميلة ثم البعيث ولكن لم يأذن له، فقال له المستأذن لو أذنت له يا أمير المؤمنين ، قال إنه ليس كهؤلاء إنما قال من الشعر يسيرا ، قال والله ياأمير المؤمنين إنه لشاعر فأذن له ، فلما مثل بين يديه،قال ياأمير المؤمنين إن هؤلاء ومن ببابك قد ظنوا أنك أذنت لهم دونى لفضل لهم على ،قال أو لست تعلم ذلك،قال لا والله ولا علمه الله لى قال فأنشدنى من شعرك ، قال أما والله لا أفعل حتى أنشدك من شعر كل رجل منهم مايفضحه ، وأقبل على الفرزدق فقال ، قال هذا الشيخ الاحمق لعبد بنى كليب

بأى رشاء ياجرير وماتح تدليت فى حومات تلك العمائم

فجعله يتدلى عليه وعلى قومه من عل وإنما يأتيه من تحت لو كان يفعل .

وأقبل على جرير فقال ، وقال هذا كلب بنى كليب .

لقومى أحمى للحقيقة منكم وأضرب للجبار والنقع ساطع

وأوثق عند المردفات عشية لحاقا إذا ماجرد السيف قاطع

فجعل نساءه لايثقن بلحاقه إلا عشية وقد نكحن وفضحن .

وأقبل على الاخطل فقال ، وقال هذا النصرانى ومدح رجلا يسمى قينا فهجاه ولم يشعر .

قد كنت أحسبه قينا وأنبؤه فاليوم طير عن أثوابه الشرر

ثم أقبل على ابن رميلة فقال ، وقال هذا وقد دفع أخاه سلميا فقتل

مددنا وكانت ضلة من حلومنا بثدى إلى أولاد ضمرة أقطعا

فمن يرجو خيره وقد فعل بأخيه مافعل ، فجعل الوليد يعجب من حفظه لمثالب القوم وقوة قلبه ، وقال له قد كشفت عن مساوى القوم فأنشدنى من شعرك فأنشده فاستحسن قوله ووصله وأجزل له .

ودخل عليه ذات مرة جرير وعنده ابن الرقاع ينشده القصيدة التى يقول فيها

غلب المسامیح الولید سماحة وکفی قریش المعضلات وسادها

قال جرير فحسدته على أبيات فيها ، حتى إذا ما أنشد فى وصف الظبية « تزجى أغن كأن إبرة روقة » قلت فى نفسى والله لن يقدر أن يقول أو يشبه فلما قال « قلم أصاب من الدواة مدادها » ماقدرت حسدا أن أقيم فانصرفت

٢ ـ وكذلك كان سليمان ـ ذكروا أن الفرزدق ونصيبا حضرا عنده فقال للفرزدق أنشدنى مقدرا أن يمدحه فأنشده

وركب كأن الريح تطلب عندهم لها ترة من جذبها بالعصائب
سروا يخبطون الليل وهى تلفهم إلى شعب الأكوار ذات الحقائب
إذا آنسوا نارا يقولون ليتها وقد خصرت أيديهم نار غالب

فأعرض عنه مغضبا لفخره فى حضرته ، فقال نصيب ياأمير المؤمنين ألا أنشدك فى رويها مالعله لايتضح عنها قال هات فأنشده

أقول لركب قافلين رأيتهم قفا ذات أوشال ومولاك قارب
قفوا خبرونى عن سليمان إننى لمعروفه من أهل ودان طالب
فعاجوا فأثنوا بالذى أنت أهله ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

فقال سليمان للفرزدق كيف تراه قال هو أشعر أهل جلدته ، وكان نصيب أسود ، فقال سليمان ياغلام أعط نصيبا خمسمائة دينار وألحق الفرزدق بنار أبيه فخرج الفرزدق وهو يقول :

وخير الشعر أكرمه رجالا وشر الشعر ماقال العبيد

ومن هذا النحو من النقد ماذكر من أن الحجاج بن يوسف حين عهد إلى يزيد بن الحكم الثقفى بولاية فارس وأتاه يودعه فقال له أنشدنى مقدرا مدحه فأنشد مفتخرا .

وأبى الذى سلب ابن كسرى راية بيضاء تخفق كالعقاب الطائر

استرد العهد منه وقال للحاجب إذا أتاك به فقل له أورثك أبوك مثل هذا فلما قال له الحاجب ذلك قال قل للحجاج :

وورثت جدى مجده وفعاله وورثت جدك أعترا بالطائف

٣ — ومن بعد الوليد وسليمان كان أخوهما يزيد مثلهما عناية بالأدب وتقديرا للأدباء ، فقد روى أنه رد الأحوص من منفاه ببيت من الشعر قاله فيه وسمعه من مغنية وهو

كريم قريش حين ينسب والذى أقرت له بالملك كهلا وأمردا

٤ — وأخيرا جاء أخوهم هشام الذى ملك نحو عشرين سنة كما ملك أبوه، فكان غرامه بالأدب شديدا ونقده له دقيقا ، وكان يأرق فى جوف الليل فيطلب من الأعراب من يحدثه فإذا أجاد كانت سعادته . أحضر له الخادم ذات ليلة أبا النجم الراجز وكان غاضبا عليه منذ أن أنشده فى أرجوزة يمدحه بها قوله « والشمس فى الأفق كعين الأحول » فانتقده عليه إذ كان أحول ولم يراع أبو النجم ذلك ، ومع هذا قبله فى تلك الليلة لشدة شغفه بالأدب وسماره، فلما دخل سأله ماعندك من الولد ، قال ثلاث بنات زوجت منهن اثنتين وبنى يقال له شيبان، فسأله عما أوصاهما به عند الزفاف فقال قلت للأولى واسمها برة

أوصيت من برة قلبا حرا بالكلب خيرا والحماة شرا
لاتسأمى ضربا لها وجرا حتى ترى حلو الحياة مرا
وإن كستك ذهبا ودرا والحى عميهم بشر طرا

فضحك هشام وقال فما قلت للأخرى قال قلت .

سبى الحماة وابهتى عليها وإن دنت فازدلفى إليها
وأوجعى بالقهر ركبتيها ومرفقيها واضربى جنبيها
وظاهرى النذر لها عليها لاتخبرى الدهر بذاك ابنيها

فضحك هشام حتى بدت نواجذه وقال فما حال الأخرى ، قال درجت

بين بيوت الحى ونفعتنا فى الرسالة والحاجة ، قال فما قلت فيهـــا قال قلت واسمها ظلامة :

كأن ظلامة أخت شيبان يتيمة ووالداها حيان
الرأس قمل كله وصئبان وليس فى الرجلين إلا خيطان
فهى التى يذعر منها الشيطان

فضحك هشام حتى ضحك النساء لضحكه وقال للخصى مابقى من نفقتك قال ثلثمائة دينار، قال ادفعها إلى أبى النجم ليجعلها فى رجل ظلامة مكان الخيطين. وهشام هذا هو الذى كتب الى عامله على العراق أن يدفع إلى حماد الراوية خمسمائة دينار ويرحله اليه بدمشق على جمل مهرى، ولما وصله بعد اثنتى عشرة ليلة استدناه وقال له بعثت إليك لبيت خطر ببالى لم أدر قائله ، قال حماد فقلت وما هو يا أمير المؤمنين قال :

ودعوا بالصبوح يوما فجاءت قينة فى يمينها إبريق

فقلت هذا يقوله عدى بن زيد فى قصيدة ، قال أنشدنيها فأنشدته إياها فطرب ثم أجزل من عطائى وأعادنى إلى أهلى .

وبعد فلا عجب بعد هذا كله ، أن يروج الأدب ويكثر الأدباء ، ويجود النقد ويجيد النقاد ، وأن تخلق الرواية وينتشر الرواة ، فيتم بذلك وضع الأساس الفطرى السليم للنقد أمام النقاد ، ومن ثم يسلمه هؤلاء فى أخريات العهـــد الأموى صالحا للبناء ، على أيدى من تخطى هذا العهد من إخوانهم إلى الصدر العباسى ، ومن وجـــد من خلفائهم مع هؤلاء الاخوان فى ذلك الصدر ، ثم يطرد السمو بالنقد على توالى العهود العباسية الطوال ، حتى يغدو بناؤه صرحا ثابت الأصل فى الأرض باسق الفرع فى السماء .

السباعى بيومى